مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

الاجتهاد النسوي : من الإيديولوجيا إلى الإبستيمولوجيا

أسماء بن قادة

أستاذة علاقات دولية بكلية العلوم السياسية

جامعة الجزائر3

مقدمة

في عمق الصحراء سارت هاجر أم إسماعيل بين الصفا والمروة وهرولت في بطن الوادي سبع مرات، تنظر وتتأمل وهي تتبع حدسها لعل شيئا ما يحدث، فيؤدي إلى حصولها على الماء لتروي ابنها من العطش خوفا عليه من الهلاك، ليصبح فعل هاجر ركنا من أركان الحج، ولست أدري هل يشعر مئات الملايين من الرجال الذين يسعون بين الصفا والمروة مهرولين، أنهم يتبعون في ذلك اجتهاد هاجر القائم على الحدس، وفي صلح الحديبية عاش المسلمون نقطة انعطاف خطيرة كادت أن تكون عنوان فتنة من شأنها أن تعصف بالدين الجديد عندما رفض الصحابة العودة إلى المدينة وفقا لأحد بنود الصلح، الأمر الذي وصفه الرسول بالهلاك لخطورته، حيث كان يرى في ذلك حالة عصيان منذرة بنهاية النبوة ونقل ذلك الشعور لأم سلمة التي أشارت عليه بتوجيه من خبرتها الذاتية وحدسها بالخروج وفك الإحرام وكذلك فعل، فراح الصحابة يتبعونه الواحد تلو الآخر، واليوم تسعى الشركات الكبرى إلى توظيف النساء في أقسام الإبداع والابتكار استغلالا لحدسهن وذكائهن العاطفي، سعيا وراء تحسين المنتوج وتحقيق الأرباح.

إنها مقدمة تشمل نموذجين رمزيين للاجتهاد النسوي حيث تحول الأول إلى ركن من أركان الدين متمثلا في الحج وكان الثاني سببا في استمرارية الرسالة والدين، إنهما حدثان يحملان دلالة رمزية هامة لاجتهاد المرأة وهما يعبران عن اثنين من أهم المسلمات التي يقوم عليها الاجتهاد النسوي كنموذج ونظام معرفي له أدواته المعرفية والمنهجية، وتتمثل

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

تلك المسلمات في الحدس والخبرة الذاتية للمرأة، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق هو مدى قدرة الرجل على أن يحل محل المرأة في هذا

الاجتهاد ولماذا تختلف قراءة المرأة وتفسيرها للنصوص والظواهر عن قراءة وتفسير الرجل وما سبب وأهمية طرح موضوع الاجتهاد النسوي اليوم بالذات؟

مجموعة من الأسئلة استغرقت محاولات الرد عليها عقودا من الزمن، ويعود الفضل في ذلك إلى مجموعة من الدراسات والبحوث التي قامت بها مجموعة من النساء الأكاديميات والعالمات في مختلف المجالات، نقلت قضية المرأة من الإيديولوجيا القائمة على خلفية الصراع، سيما مع الموجة الأولى للنسوية إلى الابستمولوجيا من خلال طرح مشكلة المرأة في العلم أو في العلم الذكوري، وسنتناول في هذه الدراسة نوعين من الاجتهاد النسوي، الأول يمثل الدراسات النسائية النقدية للعلم الذكوري الذي أنتجه النظام المعرفي الإسلاموي الذي وضع قواعده ومسلماته الفقهاء الذين انفردوا بالاجتهاد عندما اشترطوا الذكورة في صناعة الفتوى، والثاني يتمثل في تلك البحوث الابستمولوجية النقدية تجاه البراديغمات والأنظمة المعرفية الأرسطوطاليسية والديكارتية التي كانت وراء المكانة المتدنية للمرأة الأمر الذي أدى إلى البحث عن إشكالية العلم في الفكر النسوي، مما أدى إلى بناء نموذجين معرفيين جديدين تقاطعا عند الكثير من النقاط ونقلا قضية المرأة من الأيديولوجيا والصراع ومناهج المفاضلة والمقابلة والمقارنة إلى الابستمولوجيا حيث يجري البحث عن طرح مشكلة المرأة في العلم ثم إشكالية العلم في الفكر النسوي ويهدف ذلك كله إلى إحداث قطيعة معرفية مع النماذج القديمة التي حجبت الجانب الأنثوي، وبناء نماذج جديدة تقوم على التناغم والانسجام عبر إدراج المنظور النسوي للعلم من حيث نظرياته ومناهجه وأدواته المعرفية..الخ.

الاجتهاد النسوي وتقويض مسلمات براديغم الفقهاء الذكوري

إن دراسة موضوع الاجتهاد النسوي تقودنا إلى الإرهاصات التي سبقت وفرضت طرح هذا النوع من الاجتهاد، حيث أدى تعليم المرأة ووصول نخبة من النساء الأكاديميات إلى تجاوز التلقي و إخراج قضايا المرأة من دائرة الصراع الأيديولوجي الإسلاموي- العلماني بعد أن ظهر التمييز الواضح بين الرجال والنساء في الأحكام الفقهية لصالح

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

الرجل وما تضمنته تفاسير من نصوص القرآن عن المرأة من نماذج صادمة تضع المرأة في منزلة أدنى من الرجل، الأمر الذي تعطلت بسببه مقاصد الشريعة، ومع ما اكتسبته تلك الأسماء الكبيرة مع الزمن من صفات تقترب من التقديس، رغم تجاوزها وابتعادها عن المقصد الإلهي من النص، تكرس اضطهاد المرأة وحرمانها من حقوقها مع التزام العلماء المحدثين الصمت اتجاه كثير من المغالطات التي تضمنتها تلك التفاسير، إلى أن انتزعت المرأة حق التعليم وتشكلت نخبة من النساء الباحثات والأكاديميات اللاتي سعين استنادا إلى المؤهلات البحثية والعلمية لتفكيك ذلك النموذج المعرفي الذي يقف وراء تلك النظرة الدونية للمرأة. فعند المفسرين على سبيل المثال يرى الإمام الرازي في تفسيره للآية الكريمة "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة"[1] أن قوله خلق لكم خير دليل على أن النساء خلقن كخلق الدواب والنبات وغير ذلك من المنافع كما قال تعالى " خلق لكم ما في الأرض" وهذا يقتضي ألا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف فنقول خلق النساء من النعم علينا وخلقهن لنا وتكليفهن لإتمام النعم علينا لا لتوجيه التكليف نحوهن مثل توجيهه إلينا... فلأن المرأة ضعيفة الخلق سخيفة فشابهت الصبي لكن الصبي لم يكلف فكان يناسب ألا تؤهل المرأة. [2]

ويلتقي الرازي هنا مع أبي حامد الغزالي الذي يعتبر في كتابه الإحياء االزواج نوع من الرق ويلتقي ذلك مع ما تضمنته نصيحته للمرأة عند حديثه عن القول الجامع في آداب المرأة " فإن خرجت بإذنه- أي الزوج-فمتخفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها وتعرفه [3] كما اعتبر في باب آخر من كتاب الإحياء أن نفس الرجل التقية بحاجة للإستراحة مما يزيل الكرب ويروح عن القلب، وينبغي أن يكون للمتقين استراحات بالمباحات" [4]

الأمر الذي فسرته عالمة الاجتماع فاطمة المرنيسي في كتابها الجنس كهندسة اجتماعية أن المجتمع الإسلامي في رأي الغزالي ينقسم إلى فئتين: فئة تنتج المعرفة وتطلبها كطريقة لعبادة الله وطاعته وفئة أخرى تسخر وتستهلك من طرف الفئة السابقة المنتجة ثقافيا وتتكون من النساء [5].

أما الحافظ ابن كثير فيؤكد بأن تفسير آية "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم " بأن السفهاء هم النساء والأطفال والعبيد [6] .

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

ولم تكتف بعض الكتابات بإخراج النساء من دوائر التكليف والاستخلاف حيث راحت تجتهد لإثبات أن الذين يرون ربهم يوم القيامة هم المؤمنون من الرجال دون النساء وقد أفرد السيوطي لذلك رسالة خاصة تحت عنوان إسبال الكساء على النساء [7].

ولقد أبدع الفقهاء الوضعيون في صنع فتاوى للزواج بما ينعكس إيجابا على الرجل وسلبا على المرأة مثل زواج المسيار وزواج فريند وزواج المتعة والزواج العرفي والزواج بنية الطلاق...الخ.

إن هذا التمييز بين النساء والرجال يجد مبرراته في المسلمات التي يقوم عليها النموذج المعرفي الذي أسسه واستند إليه المجتمع العلمي الذي ضم الفقهاء والمفسرون في مراحل من التاريخ ومن بين تلك المسلمات مفاهيم مركزية تحليلية مثل مفهوم الأنوثة ومفهوم الجسد ومفهوم الفتنة واعتماد وتوظيف قاعدتي سد الذرائع وجلب المصالح اللتان كان لهما دور كبير في اضطهاد المرأة وحرمانها من حقوقها، أما أهم مسلمة عقدية ودينية كان من المفترض أن يقوم عليها النظام المعرفي فهي مفهوم التوحيد الذي جرى تجاوزه في الاجتهاد رغم أنه يمثل المرجعية المفارقة والمحايدة والغير متحيزة وهو المفهوم الذي تتمركز وتنتظم حوله كل المسلمات الأخرى، حيث أن مفهوم التوحيد عدا عن كونه مسلمة عقدية يمثل رؤية للكون تقوم على مبدأ الزوجية كما سنرى، ولكن أولئك المفسرون والفقهاء فضلوا معارضة

التغليب الذي يقضي بعدم دخول النساء في الخطاب القرآني إلا بقرينة وجعلوا تلك المعارضة عمليا في مقابل التوحيد.

القطيعة المعرفية مع البراديغم الذكوري والتأسيس للاجتهاد النسوي:

في مقابل النموذج المعرفي الذكوري عملت نخبة من الأكاديميات المسلمات على إحداث القطيعة مع النظام المعرفي الذكوري من خلال تقويض مسلماته وما تتضمنه من مغالطات لتضع مسلمات جديدة يقوم عليها براديغم جديد في محاولة لوضع مسافة بين المرأة في القرآن وامرأة الفقهاء وأهم تلك المسلمات تتمثل في الآتي:

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

1-التوحيد: وهو المفهوم الضابط لكافة المسلمات والمفاهيم والسنن وعلى اعتبار ان الله سبحانه وتعالى ليس بذكر ولا أنثى وبالتالي لا يمكن أن يكون مرجعا لأي تمييز يؤدي إلى اضطهاد المرأة لذلك لازالت نخبة من النساء المسلمات يجرين بحوثا حول هرمينوطيقا التوحيد.

2-مبدأ الزوجية: إن الله قد خلق الكون من منطلق مبدأ الزوجية "وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى " [8] وهو مبدأ لا ينطوي على تمييز ولا تفضيل ولقد عبر ابن عربي عن الزوجية بالقطبية، وتقضي الزوجية بوجود اختلاف بين الرجل والمرأة مع المساواة، فالمرأة بحكم مفهوم للأنوثة باعتباره جوهرا يحمل قيما انثوية إيجابية من شأنها أن تسهم في بناء النموذج المعرفي وفي أي عملية استخلاف أو عمران أوصناعة قرار على مستوى مختلف المؤسسات والمجالات.

3- البعضية: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض" [9] والبعضية تقوم على الاتصال وليس الانفصال وعلى التشاكل والتناغم وليس التكامل.

4-الولاية الإيمانية المتبادلة:

إنها العلاقة التي تقوم عليها عملية الاستخلاف وهي تعكس مفهوما عميقا للمساواة وتجددها الآية:

"والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" [10]

5-التناغم: وهي مسلمة أخرى يؤكدها مبدأ الزوجية وذلك بدلا عن التكامل الذي لا نجد له ذكرا في أي من نصوص القرآن حيث يحمل التكامل معنى رياضيا ومفصليا ونهائيا في حين يتضمن التناغم معاني التشاكل والتمازج الذي هو محل إثراء متبادل بين الجنسين.

6-تصحيح مفاهيم الأنوثة والجسد والفتنة.

يقوم الاجتهاد النسوي بعملية تصحيح للمفاهيم التي قام عليها البراديغم الذكوري الذي اعتبر المرأة بحكم التصورات المغلوطة عن الأنوثة والجسد والفتنة المرأة محل غواية وإغراء ومصدر فتنة.

البراديغم النسوي الثاني: فلسفة العلم النسوية

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

أما البراديغم النسوي الثاني فإنه يتمثل في فلسفة العلم النسوية كاتجاه جديد في فلسفة العلوم والذي يسعى إلى تقويض تلك السلطة الذكورية التي سبغت العلم بقيمها وسيمائها وملامحها وكانت سببا في حجب الجانب الأنثوي من العلم في كافة الأنظمة المعرفية التي أنتجها العلم الذكوري سواء منها النظام المعرفي أو البراديغم الأرسطوطاليسي أو الديكارتي النيوتوني، حيث أنه و بعد أن تجاوز التيار النسوي مجال الحركة إلى مجال الطرح الإيديولوجي وانتقاله من مرحلة تحرير المرأة إلى النسوية ومنها إلى المشاركة القوية من جانب المرأة في المجال الأكاديمي، انبثق من عمق هذا الزخم المعرفي والعلمي مجموعة من التساؤلات حول مشكلة المرأة في العلم على أثر المغالطات التي حملتها الاجتهادات الذكورية في المجال المعرفي، ومنذ صدور كتاب الفيلسوفة الأمريكية ساندرا هاردنج " سؤال العلم في النسوية بعنوانه الفرعي "المنظورات النسوية للإبستمولوجيا والميتافيزيقا والميثولوجيا وفلسفة العلم" [11] أدت كل الإشكاليات التي طرحت في هذا المجال إلى نشوء فلسفة العلم النسوية سعيا وراء تفسير ظاهرة العلم في سياق الجنوسة كمعالجة نقدية جذرية لقيم العلم وأهدوافه ومعاييره ومحركاته ومناهجه وممارساته التي حددتها البراديغمات الذكورية، ليأتي في مرحلة ثانية كتاب ليندا شيفرد حول أنثوية العلم معتبرا أن اهمال القيم الأنثوية وكبحها في العلم الغربي افقارا للمناهج والقيم والأدوات المعرفية المطروحة في مختلف المؤسسات العلمية العلوم [12] ، وعنيت هيلاري روز في ذات السياق وهي عالمة اجتماع بخصائص دور المرأة في إنتاج المعرفة العلمية ومن ثم بحثت مفهوم الموضوعية والعقلانية في النظرية والممارسة العلميتين [13] ولقد التقت النساء الأكاديميات عند ضرورة إبراز الخبرة الشخصية للنساء من منطلق أن العالم أو العالمة يدخلان المختبر ليس فقط بالعقل والحواس والخيال والحدس ولكن أيضا بالشعور العاطفة والانفعال، فكل ذلك يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند تحديد المنهج العلمي الذي يتميز به النظام المعرفي الذي لا ينبغي أن يحجب أي جانب يسهم بشكل ظاهر أو ضمني في الاجتهاد العلمي على عكس البراديغمات الذكورية التي تعتبر بحكم الموضوعية أن العواطف البشرية تعرقل انتظام التفكير، كما تنعدم الكفاءة مع الإصغاء لصوت المشاعر أن المقاربة العاطفية للبحوث العلمية تجعل المجال مفتوحا أمام العالم لتحريف تأويل المعطيات فالرجل العالم لا يثق إلا بما يتمكن من قياسه وبحثه وتفسيره من خلال تجزيئه لينتهي إلى عبر الاختزال والتبسيط والتجريد إلى توصيف رياضي عن طريق مجموعة من المعادلات المعبرة عن المصفوفة النظامية الذكورية.

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

ومن ثم سعت مجموعة من النساء الأكاديميات سيما في الولايات المتحدة إلى التأسيس لبراديغم نسوي جديد يكشف عن القيم الأنثوية في العلم ويقوم على مجموعة المسلمات وأهمها الذات العارفة الأنثوية حيث استفادت الفلسفة النسوية الجديدة من تحولات ما بعد الحداثة في النظر إلى الذات العارفة من منطلق كونها موقعا لاستقبال المعنى وقد اهتمت النسوية بدلالتها الأنطولوجية لتنتهي إلى أن الموقف المعرفي لذات الأنثى مختلف عن الموقف المعرفي لذات الذكر، الأمر الذي يتطلب ادراجه في بناء فلسفة العلم الجديدة .

وكذلك السياقية على اعتبار أن تفسير أو تاويل أي ظاهرة يجب أن يحدث في إطار معين او سياق معين وكذلك الترابطية بعيدا عن المقاربة الاختزالية والتجزيئية، بالإضافة إلى التعامل مع حدس المرأة وخبرة المرأة كمصدر للمعرفة، تماما كما فعلنا مع نموذجي هاجر وأم سلمة اللتنان أدرجناهما في المقدمة، وتؤكد هذه النخبة الأكاديمية من النساء على الجانب المنهجي الذي طالما اعتمدته النساء الباحثات في مختلف المجالات العلمية والمتمثل في الحوارية والإنصات في التعامل مع الطبيعة سعيا وراء العمل بمنطق الكشف بدلا عن منطق الحجة فبدلا من استجواب الطبيعة وغزوها واقتحامها كما يفعل الرجل تفضل المرأة الإنصات إليها والحوار معها.

الخاتمة:

يبدو جليا أن كلا من البراديغم النسوي الأول والثاني قد انتقلا من مرحلة المطالب والآليات والصراعات الأيديولوجية إلى مرحلة الابستمولوجيا بعد أن أدركت النخب من النساء الأكاديميات أن اضطهاد المرأة ومكانتها الدونية في المجتمع وهضم حقوقها كانت نتاج أنظمة معرفية هي من تقف خلف التصورات التي حددت طبيعة الأنوثة وصفاتها التي كانت سببا في الإقصاء التهميش الذي لحق بالمرأة ومن ثم قوضت تلك النخب النسائية المسلمات التي أسست لتلك المغالطات وسعت إلى إحدث القطيعة مع تلك النماذج واتجهت نحو بناء براديغمات جديدة بمسلمات جديدة يتحقق عبرها الإثراء لمتبادل بين القيم الأنثوية والذكورية الإيجابية فيتحقق التوازن.

المراجع:

1- سورة الروم الآية 21

مجلة أسئلة و رؤى

مجلد رقم:2 عدد رقم: 4 مجلة دولية نصف سنوية

E-ISSN : XXXX-XXXX ISSN : 2773-2975

https://www.asjp.cerist.dz/ar/PresentationRevue/833

2- محمد فخر الدين الرازي ط3، بيروت: دار الفكر 1985، مجلد 13 ص111.

3- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، 1998، ص54.

4-المرجع السابق ص56.

5 فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة أزويل، الدار البيضاء، 1988، ص35.

6- الحافظ بن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة: دار الشعب، مجلد2 ص ص 186-187.

7 جلال الدين السيوطي، إسبال الكساء على النساءب ، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1985، ص ص 45-48.

8 سورة النجم، الآية 45.

9 سورة آل عمران، 195

10 سورة التوبة، 71

11- Sandra Harding, Science Question in Feminism, Ithaca: Cornell University Press, 1986, pp15-16.

12 - Linda Jean Shepherd, Lifting the Veil, The Feministe Face of Science, Shambhala, Boston & London, 1993 pp77-79.

13 Hilary Rose, Women's Work-Women's Knowledge, in Mitchell &Oakley, 1988, p179.